العدد ١٦ | شتاء ٢٠٢٢ م





# الإنسان الكائن الثقافي بالطبع في العقل والنقل

# Man the naturally third dimensional being within reason and Islamic perspectives

**محمود الذوادي** [1]

**Mahmoud Dhaouadi**

(١) عالم الاجتماع - جامعة تونس. البريد الإلكتروني: m.thawad43@gmail.com

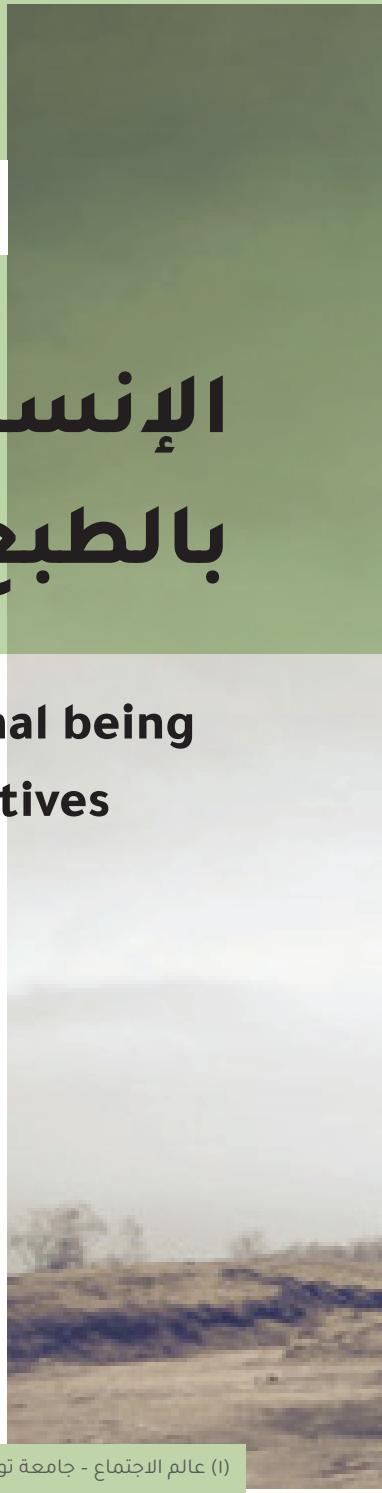

## ملخص البحث:

تقدّم هذه الدراسة النظرية الجديدة والمتمثلة في نظرية البعد الثالث للإنسان أو الرموز الثقافية. فهذه الأخيرة هي تلك السمات/الرموز التي تميّز الجنس البشري عن غيره من الأجناس الأخرى. والرموز الثقافية عندنا هي المنظومة الثقافية التالية: اللغة المكتوبة والمنطوقة والفكر والدين والمعرفة/العلم والأساطير والقوانين والقيم والمعايير الثقافية. تؤكد هذه النظرية اعتماد على معطيات العقل وشهادة النقل أن عناصر البعد الثالث للإنسان مركزية في صميم هويّة بني البشر. ومن ثمّ، ينبغي أن يكون الاعتماد عليها ذا أولوية قُصوى بالنسبة للمتخصصين في العلوم الإنسانية والاجتماعية الذين يرغبون في فهم وتفسير سلوكيات الأفراد وحركية المجتمعات والتنظير حولها. نود في هذا البحث استكشاف مشروعية تسميتنا للإنسان كائنًا ثقافيًا بالطبع Homo Culturus قبل وبديلًا عن اعتباره كائنًا اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا كما ذهب إلى ذلك الكثيرون من نخب المفكرين الاجتماعيين؛ إذ إن هذه الصفات التي ركزوا عليها لم تكن لتوجد أصلًا دون البعد الثالث للإنسان. يساعد هذا الإطار الفكري/ البرادايم على تفسير ظاهرة العقول المتنوعة وفي طليعتها العقول العظيمة مثل عقل ابن خلدون.


**الكلمات المفتاحية**: هوية الإنسان، البعد الثالث للإنسان، شهادة العقل والنقل، الجوانب المتعالية للرموز الثقافية، ابن خلدون.


## Abstract:

This paper claims theoretically that Humans are first of all **Homo Culturus** before being Homo Politicus or Homo Sociologus or Homo Oeconomicus. Humans are distinguished from the rest of the species by what I call the Third Human Dimension/THD or Cultural Symbols/CS: language, thought, religion, knowledge / science , myths , laws and cultural values and norms. According to the reason/Aql analysis and the the Islamic perspective/Naql, CS are very central to the human identity of individuals, groups and societies. Consequently, they are basic keys for understanding and explaining individual as well as collective behaviours in human societies. The paradigm of Homo Culturus helps explain also the phenomenon of the human mind in its various forms: illiterate mind, educated mind and the great thinking minds of scientists and scholars like Ibn Khaldun's.

**Keywords**: The Third Human Dimensional being, human identity, Aql and Naql perspectives, transcendental dimensions of CS, Ibn Khaldun.

## هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى التعرّف على مشروعية تسمية **الإنسان كائنًا ثقافيًا بالطبع**. فقد وجدنا صمتًا شبه كامل حول هذا الأمر في العلوم الاجتماعية المعاصرة. نود التأكيد في صفحات هذه الورقة بأن تلك العلوم لا يمكن أن تكسب نظريًا وميدانيًا رهان فهم وتفسير موثوق بهما بالنسبة للظواهر الفردية والجماعية البشرية دون إعطاء دور مركزي لما نسميه **منظومة الرموز الثقافية** أو **البعد الثالث للإنسان** (اللغة والفكر والدين والمعرفة/العلم والقيم والأعراف الثقافية والأساطير والقوانين) في تحديد معالم تلك الظواهر.

وكما سيتجلى ذلك في صفحات هذا البحث، فالعلوم الاجتماعية الحديثة لم تُولِ اهتمامًا كبيرًا إلى **أهم معالم الهوية الإنسانية** والمتمثلة في عناصر تلك المنظومة الثقافية. بل هي أعطت جُلَّ اهتمامها إلى المعالم الأقل مركزية في هوية الإنسان مثل الجنس والاقتصاد والسياسة والاجتماع بدل تركيزها في المقام الأول على منظومة الرموز الثقافية التي نعكفُ هنا على كشف الحجاب عنها **بمنهجية العقل** و**النقل**، المنهجية التي تبناها الفقهاء والعلماءُ والمفكرون المسلمون الأوائل (الذوادي ٢٠١٠).

## طبيعة الإنسان وتطوره: آفاق جديدة

نشرت المجلة العلمية الأمريكية الشهيرة Scientific American عددًا خاصًا عنوانه: (**البشر: لماذا نحن البشر لسنا كأي جنس آخر على وجه الأرض؟**) صدر هذا العدد في شهر سبتمبر ٢٠١٨ (المجلد ٣١٩، العدد ٣). يقول أحد المقالات في مقدمته « عموما، يعتقد معظمُ الناس على هذه الأرض بابتهاج دون أي سند علمي موثوق به أن البشر مخلوقات خاصة ومميزة عن الحيوانات الأخرى. من اللافت للنظر أن أهم العلماء القادرين على تقييم ذلك الاعتقاد يبدون في الغالب متحفظين على الاعتراف بأن الجنس البشري جنس فريد. وربما يعود ذلك إلى الخوف من دعم فكرة الاستثناء البشري الذي تطرحه العقائد الدينية. لكن **المعطيات العلمية القوية الحديثة** من ميادين علمية مختلفة من علم البيئة إلى علم النفس المعرفي تؤكد أن **البشر** هم حقا **جنس متميز**» (ص٣٤).

قُسمت صفحات هذا العدد الخاص إلى بعض المقالات نقتصر على ذكر عناوين البعض منها فقط: كيف أصبحنا نوعًا مختلفًا من الحيوان، تشفير لغز الوعي/الإدراك البشري، ما الذي يجعل اللغة أمرًا

مميزًا للإنسان؟ البشر هم بصدد تغيير مسار التطور، لماذا ربما نحن البشر نمثل الحياة الذكية الوحيدة على هذا الكوكب؟

وبالتوازي مع هذه المجلة الصادرة باللغة الانجليزية نشرت مجلة (Sciences Humaines , décembre 2018) باللغة الفرنسية ملفًا خاصًا عنوانه: **البشر: إعادة نظر تفكيرنا في أصولنا**. يقدم هذا الملف أطروحات وفرضيات جديدة حول ظهور العقل البشري المختلف كثيرًا عن نظيره لدى أبناء عمّه الأكثر قربا منه وهم القردة الكبار. يعود ذلك في نهاية المطاف إلى مسيرة تطور مختلفة لدى الجنس البشري. تتكون هذه المسيرة من مرحلتين: ١- كسب الإنسان رهان المشي على رجلين ومخ أكبر حجمًا و٢- ظهور اللغة والأدوات المتنوعة والفن والمقابر. ففهم هذه العملية المميزة للجنس البشري التي قادت إلى ميلاد العقل البشري يطرح اليوم **رؤى وآفاق جديدة** بخصوص إعادة النظر في حركة مسيرة تطور الجنس البشري. وينطبق نفس الشيء على الآليات الفاعلة في هذا التطور (الاختيار الطبيعي والاختيار الاجتماعي والاختيار الثقافي) الذي تقع اليوم إعادة النظر فيه بالكامل. يأتي هذا الطرح الجديد لعوامل تطور مسيرة الجنس البشري **مخالفًا** للمقاربة الكلاسيكية لداروين القائلة إن الاختيار الطبيعي يفسر تطور الجنس البشري. يعمل ذلك الاختيار على تحاشي ضغوط وعوائق البيئة. أما في الرؤى الجديدة، فالجنس البشري يتطور ليس من أجل التأقلم مع طبيعة البيئة ولكن لصالح البيئة غير الطبيعة التي صنعها الإنسان نفسه.

## الإنسان ليس قردًا

كثُرت المساءلةُ أخيرًا في الدوائر المعرفية الغربية لفكرة ‹أصل الإنسان قرد›. فالمؤلف ألان بروشيانتيز Alain Prochiantiz ينكر هذه الفكرة كما يعبر عن ذلك عنوان كتابه الصادر في ٢٠١٩: «لماذا نحن/البشر لسنا بالقردة Pourquoi nous ne sommes pas des singes». كما نشرت مجلة Science et Vie عددًا خاصًا في شهر ديسمبر ٢٠١٨ عنوانه «الإنسان لا ينحدر من القرد». ويتساءل ويجيب العالم George G. Simpson في عنوان كتابه « هل نحن قردة؟ لا نحن بشر ٢٠١٥».

## مربط الفرق بين الحيوان والإنسان

تردد الكتابات المعاصرة صفة التشابه بين الإنسان والحيوان أكثر من صفة القطيعة بينهما. نقتصر على ذكر مثالين يبرزان الفرق بين الاثنين: فمن جهة، وجدت الباحثة جاين جودال Jane Goodal أن القردة الكبيرة (الشمبانزي) قادرة على صناعة بعض الأدوات لصيد دودة الخشب. ومن جهة ثانية، لاحظ بعض الباحثين اليابانيين لعالم الحيوانات أن القرد الأسيوي يعلّم أولاده تقنيات غسل البطاطس الحلوة. لكن هذه

السلوكيات البسيطة لبعض القردة لا تغير شيئًا من **الحقيقة الكبرى الثابتة** التي يبرزها هذا العدد الخاص من المجلة الأمريكية. تتمثل هذه الحقيقة الكبرى في تميز الجنس البشري بما يسميه بعض المقالات في هذه المجلة بالثورة المعرفية Cognitive Revolution أو ما نطلق عليه نحن منظومة الرموز الثقافية أو البعد الثالث للإنسان (اللغة والفكر والمعرفة والعلم والدين والأساطير والقوانين والقيم والأعراف الثقافية). فبهذه المنظومة الثقافية يعتبر **الإنسان مخلوقًا فريدًا** على وجه الأرض قادرًا على التحكم في غيره من الأجناس الحية وفي المخلوقات الجامدة في هذا العالم. فانفراد الإنسان بتلك الميزات ومنه بمشروعية السيادة على وجه الأرض مرتبط شديد الارتباط بمنظومة الرموز الثقافية تلك الحقيقة الكبرى والثابتة التي يتميز بها الجنس البشري عن سواه. وعليه، فمن وجهة هذا المنظور الفكري لا يجوز أن تخفي بعضُ أوجه الشبه بين الجنس البشري والأجناس الأخرى **الحقيقة الكبرى** المتمثلة في أن الإنسان هو الكائن الوحيد الثلاثي البعد. وما لم يصبح أي من الأجناس الأخرى منافسًا حقًا للجنس البشري في إدارة شؤون ما يجري على بساط الأرض وفي السماء، فإن الحقيقة الكبرى المتمثلة في تميز الجنس البشري بمنظومة الرموز الثقافية **بقي محافظة على مصداقيتها** في أن الإنسان هو الذي ينفرد بالسيادة على الأرض بين كل المخلوقات.

## اقتصار منهجية العلوم على المعطيات الكمية

يعود تحاشي تلك العلوم التركيز على الثوابت الكبرى لدى الجنس البشري إلى المنهجية التي تتبناها والمبنية على الملاحظة **والمؤشرات الكمية** دون الحرص على الأخذ بعين الاعتبار **المعطيات الكيفية**، من جهة، وعدم وضع، من جهة ثانية، تفاصيل معطيات المنهجية الكمية في إطار رؤية فكرية معرفية تجمع بين شتات تلك المعطيات المتناثرة فتعطيها تفسيرًا ومن ثَّم معنى أوضح ومشروعية أكبر عند أهل الذكر. إن مواصفات الإنسان بأنه كائن اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي في تصورات علماء الاقتصاد والاجتماع والسياسة المعاصرين هي مواصفات للإنسان يصعب أن تكون حقائق إنسانية دون أن يكون الإنسان في المقام الأول كائنًا ثلاثي البعد/ثقافيًا بالطبع. ففقدان **الحقيقة الثقافية الكبرى في طبيعة الإنسان** يعيق الفهم والتفسير الأكثر مصداقية. فهامشية الثقافة في الرؤية المعرفية لعلوم الإنسان والمجتمع جعلت، على سبيل المثال، فكر العالم الروسي لاف فيجوتسكي Lev Vygotsky في كتابه **الفكر واللغة** غير مرحب به في الدوائر العلمية الغربية في تلك العلوم؛ إذ إن حضور العامل الثقافي في تفكير علم النفس بقي أمرًا **هامشيًا جدًا** في الجزء الكبير من القرن العشرين. فمعالم الخلل في العلوم الاجتماعية والإنسانية المشار إلى البعض

منها تأتي أساسًا من **رؤيتها المعرفية/ الإبيستيمولوجية** لطبيعة الإنسان. فهي تركز على الجوانب المادية المحسوسة من الإنسان. وتلك الرؤية المعرفية هي **وليدة** لعوامل عرفتها الحضارة الغربية منذ عصر النهضة العلمية: صراع العلماء مع الكنيسة أدى إلى نفورهم من الدين الأمر الذي جعل كلًا من العلوم الطبيعية الدارسة للظواهر المادية ونظرية التطور لداروين تهتم بدراسة الجانب البيولوجي في الإنسان قبل الثقافي، كما رأينا.

## اهتمام صاعد بالعوالم الثقافية

هناك مؤشرات عديدة اليوم في تلك العلوم لصالح إعطاء **اهتمام أكبر لعنصر الثقافة** في فهم وتفسير سلوكيات الأفراد والظواهر الاجتماعية. يأتي علم الاجتماع الثقافي في الصدارة. يعتبر هذا الفرع الناشئ والصاعد في علم الاجتماع أن **الثقافة هي متغير مستقل وليس بالتابع**، أي أنها في صميم طبيعة الإنسان ومن ثمّ فهي الأساس في فهم وتفسير ما يجري في المجتمعات وسلوكيات الأفراد. ويتفق هذا مع مقولتنا في هذا المقال الداعية إلى أن الإنسان كائن ذو بعد ثالث/ ثقافي قبل أن يكون اقتصاديًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا؛ إذ الثقافة هي الحقيقة الكبرى الثابتة التي يتميز بها الجنس البشري عن بقية الأجناس الأخرى. فهي الأصل لمعالم حركة المجتمعات وتنوع السلوكيات الفردية والظواهر الاجتماعية. وهكذا، فالرؤية المعرفية الثقافية تستند على الحقائق الكبرى في فهمها وتفسيرها لسلوكيات الناس وحركية المجتمعات والحضارات البشرية في القديم والحديث.

## ترشح نظرية التطور للمساءلة

تفيد المعطيات الواردة أعلاه أن الصيغة الكلاسيكية لنظرية التطور مرشحة بقوة للتعديل وربما للتغيير. كما ذكرنا، فالمجلة الأمريكية تعلن بصوت عال أن الجنس البشري ليس كمثله جنس آخر على وجه الأرض. أي أنه **جنس فريد** بكل المقاييس التي استعملتها فروع العلوم الحديثة المتنوعة والمتعددة في دراسة الإنسان. أما المجلة الفرنسية فهي لا تتردد في القول إن إعادة النظر في أصول الجنس البشري هي أمر جار في العلوم المهتمة بدراسة الإنسان. وتفصح عناوين الكتب المذكورة جهرة أن القردة ليست أصلًا للجنس البشري. وهو توجه يدعو إلى إعادة النظر في صلب نظرية التطور لدى داروين. هناك مشروعية كبيرة للقيام بذلك في الظروف الحالية لعلوم الإنسان والمجتمع التي بدأت تعطي الأبعاد الثقافية **أهمية متزايدة** في فهمها وتفسيرها لسلوكيات الأفراد وحركية المجتمعات والحضارات البشرية. ومن ثَمَّ، فإعادة النظر تلك تعزز إشارتنا إلى أن منظومة البعد الثالث للإنسان تمثل ما سميناه **الحقيقة الكبرى** في طبيعة الإنسان. وإذا كُسِبَ الرهان في **«تثقيف»**

(إعطاء مكانة مركزية للثقافة في دراسة الإنسان) العلوم الطبيعية والاجتماعية في دراسة الجنس البشري فإن ذلك يمكن أن يحدث **إطارًا ثوريًا علميًا** (برادايم) بالمعنى الذي يعطيه توماس كون لهذا المصطلح، أي **قطيعة** مع النموذج الإرشادي لما يسميه كون العلم العادي Normal Science الذي جمّع رصيدًا معرفيًا تراكميًا ضخمًا لصالح نظرية التطور الكلاسيكية لداروين التي يتبنى نموذجَها الإرشادي الكثيرُ من العلماء من فروع العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية المختلفة على حدّ سواء.

## تغيير في الرؤية المعرفية للعلوم

مما لا شك فيه أن نهضة العلوم المعاصرة انطلقت من منهجيتها التي تعتمد على المعطيات الكمية؛ لأن العلوم الطبيعية مثل الفيزياء والكيمياء والطب تستعمل عوامل مادية في إنشاء رصيدها العلمي المفاهيمي والنظري لدراسة الظواهر التي تهتم تلك العلوم بالبحث فيها. لكن الأمور قد تغيرت في العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية في آخر القرن العشرين وبداية من مطلع هذا القرن، كما أشرنا. وهو تغير تسانده الرؤية المعرفية للإنسان في **الحضارة العربية الإسلامية** وعلومها الرائدة قبل العصور الحديثة. فالقرآن يعتبر **الإنسان كائنًا متميزًا** على كل الأجناس الأخرى؛ لذا أُسندت له الخلافة **وحده** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. وعند ابن خلدون ينفرد الإنسان عن بقية الأجناس **بالفكر** الذي هو عنصر بارز في منظومة الرموز الثقافية: «وذلك أن الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيّته من الحس والحركة والغذاء والكنّ وغير ذلك. وإنما تميّز عنها بالفكر... فهو مفكر دائما لا يفتر عن الفكر... وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمنا من الصنائع ...». فموقف علماء اليوم الناقد لفكرة ‹أصل الإنسان قرد› وإبراز صاحب المقدمة لتميّز الإنسان عن الحيوانات بالفكر **يشككان بقوة** في مصداقية دراسات علم النفس الحديث، مثلًا، الذي جعل دراسة **سلوك الفئران والحمام والقردة** ونتائجها مُسلَّمات ثابتة لفهم سلوك الإنسان! ذلك الكائن الثلاثي الأبعاد في الصميم.

## الإنسان غير الثقافي

فمقولتنا (الإنسان كائن ثقافي بالطبع) هي رؤية فكرية تنتمي إلى ما يُسمى عند علماء الاجتماع الثقافيين «**البرنامج القوي**» لا «البرنامج الضعيف». ويعني مصطلح البرنامج القوي إعطاء منظومة الرموز الثقافية المكانة الأولى في البحوث الميدانية والأطروحات النظرية حول الأفراد والمجتمعات. وهذا ما لم يكن موجودًا أصلًا في العلوم الاجتماعية المعاصرة باعتراف الباحثين الغربيين أنفسهم في علم الاجتماع الغربي منذ بداياته الأولى. ومن ثمّ، يوصف الروادُ الأوائل المؤسسون لعلم الاجتماع

الغربي بأنهم أصحاب «البرنامج الضعيف». أي أنهم **همشوا مركزية منظومة الرموز الثقافية** في التنظير والعمل الميداني.

فعلماء الاجتماع الغربيون الأوائل المنظرون حول الثقافة مثل فيبر Weber ودوركهايم Durkheim وماركس Marx وبارسنزParsons وميلس Mills والشيوعيين والفاشيين وآخرين عُرفوا بأنهم كانوا **أصحاب «برنامج ضعيف»**. لقد أعطوا منظومة الرموز الثقافية/الثقافة أهمية صغيرة في تحاليلهم السوسيولوجية (Semashko, Daloz, Erdemir 2006 : 831-838). كما أن المدرسة الفكرية Birmingham School وعالم الاجتماع بورديو Bourdieu والفيلسوف فوكو Foucault ونظرية إنتاج واستهلاك الثقافة لم يقوموا بأفضل من روّاد علماء الاجتماع الغربيين: أي أنهم تبنوا كذلك «البرنامج الضعيف» في دراسة الثقافة. وما يزال اتجاه **«البرنامج الضعيف» هو المهيمن** اليوم في الدراسات السوسيولوجية للثقافة رغم أن اتجاه «البرنامج القوي « لعلم الاجتماع الثقافي يلقى اهتمامًا متزايدًا بين علماء الاجتماع منذ ميلاد ما يسمى «التحوّل الثقافي Cultural Turn» في أواخر التسعينات من القرن الماضي (Wolff 1999: 503). فالماركسية والبنيوية الوظيفية والتحليل النفسي والتفاعلية الرمزية Symbolic Interactionismوالمدرسة السلوكية Behaviorism كلها ذات أطروحات معرفية ورؤى فكرية **لا تجعل** منظومة الرموز الثقافية أمرًا مركزيًا في صلب هوية الجنس البشري كأفراد ومجتمعات وحضارات. وحتى علم الأنثروبولجيا المعاصر الذي يركز على دراسة الثقافة في المجتمعات البشرية، فإنه لا ينظر إلى الإنسان على أنه كائن رموزي ثقافي بالطبع، كما تؤكد مقولةُ هذا البحث (الذوادي ١٩٩٧، ٢٠٠٢، ٢٠٠٨، Dhaouadi ٢٠٠٢). ومن ثم، غاب مصطلح **الإنسان الثقافي** Homo Culturus في أدبيات العلوم الاجتماعية المعاصرة. وفي مقابل ذلك، ذهب علماء الاقتصاد وأصحاب الرؤية المادية للإنسان إلى وصف طبيعة هذا الأخير بأنه كائن اقتصادي (Homo Oeconomicus). أما علماء السياسة فقد أطلقوا عليه مصطلح كائن سياسي (Homo Politicus). والإنسان عند علماء الاجتماع هو كائن اجتماعي (Homo Sociologus). (Dahrendorf 1974).

ورغم تركيز علماء الأنثروبولوجيا المعاصرة على دراسة الثقافة لدى الإنسان والمجتمع، فإنهم لم يستعملوا مثل زملائهم مصطلحًا مشتقًا من كلمة الثقافة ليصفوا الإنسان على أنه كائن ثقافي (Homo Culturus) في المقام الأول. **وبغياب البحث الأساسي أو ضُعفه** في دراسة الإنسان ككائن ثقافي بالطبع، فإنه يصعب الاطمئنان على مصداقية الرؤى المعرفية/العلمية والنتائج الميدانية التي تتوصل إليها العلوم الاجتماعية الحديثة. يجوز وصف فكر تلك العلوم بأنه فكر أعطى أولوية اهتمامه إلى ما يقترب من المهم بدلًا عن إعطائه بالكامل إلى **الجانب الأهم** في

هوية الإنسان ومجتمعه وهي منظومة الرموز الثقافية (الذوادي ٢٠٠٦: ٢٨). وهكذا يجوز القول بأن غفلة رواد العلوم الاجتماعية الحديثة عن إعطاء الصدارة لمنظومة الرموز الثقافية في هوية الإنسان يشبه عملية **تغييب الشجرة** والاقتصار عن إحضار فروعها فقط؛ إذ إن وصف الإنسان بأنه اجتماعي واقتصادي وسياسي أو رقمي (l'Homo Numericus (Compiègne 2011 كما ظهر أخيرًا، لا يمكن رؤيته وتجسمه كحقيقة ميدانية بدون حضور منظومة الرموز الثقافية في صلب هوية الإنسان (الحاج 1967: 26 121 : Seidman 2008,).

## ملاحظات رئيسة حول تميّز الجنس البشري

نأتي الآن إلى صُلب المعطيات البحثية والفكرية التي سمحت لنا بإرساء **الإطار الفكري** لهذه الأطروحة الثقافية الجديدة. تستند مقولتنا هذه (الإنسان كائن ثقافي بالطبع) على ملاحظات فكرية وبحثية شخصية جديدة حول **خمسة معالم** ينفرد بها الجنس البشري عن غيره من عالم الحيوانات، مثلًا:

١. يتصف النمو الجسمي (البيولوجي الفيزيولوجي) لأفراد الجنس البشري **ببطء شديد** مقارنة بسرعة النمو الجسدي الذي نجده عند بقية الحيوانات.

٢. يتمتع أفراد الجنس البشري بأمد حياة (سن) **أطول** من عمر معظم الحيوانات.

٣. ينفرد الجنس البشري بلعب **دور السيادة/ الخلافة** في هذا العالم دون منافسة حقيقية له من طرف كل الأجناس الأخرى.

٤. يتميّز الجنس البشري بطريقة فاصلة وحاسمة عن الأجناس الأخرى **بمنظومة الرموز الثقافية.**

٥. يختص أفراد الجنس البشري **بهوية مزدوجة** تتكوّن من الجانب الجسدي/ البيولوجي الفيزيولوجي، من ناحية، والجانب الرموزي الثقافي المشار إليه في ٤، من ناحية ثانية.

والسؤال البحثي والفكري المشروع بهذا الصدد هو: **أولًا** هل من علاقة بين تلك المعالم الخمسة التي يتميّز بها الإنسان؟ وثانيًا: هل أن **الرموز الثقافية** تؤثر تأثيرًا حاسمًا في المعالم الأربعة الأخرى؟

هناك علاقة مباشرة بين المعلمين ١ و٢. إذ إن النمو الجسمي البطيء عند أفراد الجنس البشري يؤدي بالضرورة إلى حاجتهم إلى معدل سِنّ أطول يمكنهم من تحقيق مراحل النمو والنضج المختلفة والمتعددة المستويات. أما الهوية المزدوجة التي يتصف بها الإنسان فإنها أيضا ذات علاقة مباشرة بالعنصر الجسدي (المعلم ١) للإنسان، من جهة، والعنصر الرموزي الثقافي (المعلم ٤)، من جهة أخرى.

وبالنسبة لسيادة الجنس البشري فهي **ذات علاقة قوية** ومباشرة بالمعلميْن ٥ و٤: الهوية المزدوجة والرموز

الثقافية. والعنصر المشترك بين هذين المعلمَيْن هو **منظومة الرموز الثقافية.** ومن ثمّ، يتجلى **الدور المركزي** والحاسم لمنظومة الرموز الثقافية في تمكين الإنسان وحده من السيادة / الخلافة في هذا العالم.

## مقدرة مقولتنا على التفسير

إن الرموز الثقافية تسمح أيضا بتفسير المعلمين ١ و٢. فالنمو الجسمي البطيء عند الإنسان يمكن إرجاعه إلى كون أن عملية النمو الشاملة عنده تشمل **جبهتين**: الجبهة الجسمية والجبهة الرموزية الثقافية. وهذا خلافًا للنمو الجسدي السريع عند الكائنات الأخرى بسبب فقدانها لمنظومة الرموز الثقافية بمعناها البشري الواسع والمعقد. وهذا يعني أن نمو الكائن البشري على **مستويين** يؤدي بالضرورة إلى بطء عملية النمو ككل عنده: أي على الجبهتين. وبعبارة أخرى، فانصراف كل جهود عملية النمو عند الإنسان إلى جبهتين -لا جبهة واحدة- **يعطل سرعة النمو على الجبهتين عند الإنسان**: أي إلى بطء في النمو الجسدي وبطء في النمو الرموزي الثقافي. يلخص الرسم التالي مركزية منظومة الرموز الثقافية في ذات الإنسان، فيعطي بذلك مشروعية قوية لمقولة **الإنسان كائن رموزي ثقافي بالطبع**.

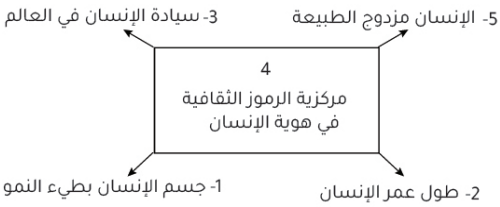


## نظرية الرموز الثقافية

هناك مشروعية فكرية ومنهجية لوصف هذا الإطار التحليلي للرموز الثقافية بأنه يمثل **نظرية؛** لأن النظرية هي ذلك الإطار الفكري الذي يفسر عددًا من الظواهر المختلفة [Turner ٢٠٠١ : IV-١]. وهذا ما تُبيّنه مقولة الرموز الثقافية عندنا. فالمعالم ١، ٢، ٣، وه المميزة للإنسان في الرسم هي حصيلة لمركزية الرموز الثقافية في هوية الإنسان. ومن هنا تأتي مشروعيةُ استعمال الرموز الثقافية لبناء نظرية لفهم وتفسير طبيعة الإنسان وسلوكيات الناس وشؤون مجتمعاتهم. إن مركزية الرموز الثقافية في هوية الإنسان أدت عندنا إلى بروز مفهوم جديد نسميه **البيولوجيا الرموزية الثقافية CS Biology** أي أن الرموز الثقافية تؤثر حتى في هندسة جسد الإنسان من حيث بطء نموه وطول أمد حياته. إنه مفهوم معاكس لمفهوم السوسيوبيولوجيا Sociobiology الذي يرى أنه يمكن تفسير الكثير من السلوكيات الاجتماعية والثقافية البشرية انطلاقًا من معطيات بيولوجيا الإنسان (Wilson 1970)

## اللغة ونشأة الثقافة في المجتمع البشري

وعند التساؤل عن أهم عنصر في منظومة الرموز الثقافية يقف وراء ميلاد هذه المنظومة المميزة للجنس البشري؛ فإن **اللغة البشرية المنطوقة والمكتوبة** تكون هي وحدها المؤهلة لبروز منظومة الرموز الثقافية؛ فلا يمكن تخيل وجود بقية عناصر تلك المنظومة كالدين والعلم والفكر دون حضور اللغة البشرية المنطوقة على الأقل. ومن ثم جاءت مشروعية اعتبارنا **أن اللغة هي أم الرموز الثقافية جميعًا**. ونظرًا لمركزية اللغة المنطوقة والمكتوبة في نشأة منظومة الرموز البشرية أو الثقافة، فإن وصف **الإنسان بأنه حيوان ناطق** وصف مشروع جدًا؛ لأن أكثر ما يميز الجنس البشري عن بقية الأجناس الأخرى ويعطيه السيادة عليها بواسطة منظومة الرموز الثقافية هي اللغة المنطوقة والمكتوبة. إذن، فاللغة هي منشئة ظاهرة الثقافة نفسها.

يتبين مما سبق أن مقولتنا تُعلن أن منظومة الرموز الثقافية هي ذلك الجانب غير البيولوجي الفيزيولوجي لهوية الإنسان الثنائية التركيبة (منظومة الرموز الثقافية +الجسم). وأن الرموز الثقافية هي **مربط الفرس في هوية الكائن البشري**. أي أن هيمنته على بقية الكائنات الأخرى وسيادته عليها يأتي من الجانب غير المادي في هويته المزدوجة. ومن هذا الواقع، فالإنسان ليس حيوانًا ناطقًا فحسب كما قال قدماء الفلاسفة بل هو أيضا **كائن رموزي ثقافي بالطبع**.

## القرآن ومركزية الرموز الثقافية في الإنسان

لا تستند مقولة الإنسان كائن ثقافي بالطبع في هذا البحث على منهجية تحليل العقل فقط، بل هي تعتمد أيضًا على ما يتضمنه **تراث النقل للثقافة الإسلامية** وفي طليعتها القرآن الكريم. نحاول هنا اكتشاف مركزية الرموز الثقافية في هوية الإنسان من خلال بعض الآيات التي ورد فيها ذكرُ **السمع**.

من اللافت للنظر أن عامة الناس وخاصتهم في المجتمعات البشرية يعتبرون البصر أهم من السمع. فينظرون، مثلًا، إلى إعاقة العمى على أنها أخطر وأبشع من إعاقة الصمم. يجوز تفسير هذا السلوك بسبب أن العمى ظاهرة فيزيولوجية مادية **ظاهرة** تراها عيون المبصرين بينما الصمم لا يتجلى فيزيولوجيا وماديا للناظرين مثل العمى الأمر الذي جعل **معظم الناس** يميلون الى اعتبار حاسة البصر **أكثر أهمية وقيمة** من حاسة السمع. وهي رؤية جماعية وشعبية لا تتناقض مع التحليل الموضوعي للظاهرة فحسب، كما سنرى، وإنما تتناقض أيضا مع ما تشير إليه **الآياتُ القرآنية** التي تتحدث عن السمع والبصر. وينبغي الإشارة هنا أن قيمة الأشياء لا تأتي فقط من طبيعتها الذاتية

وإنما قد تأتي أيضًا من استعمالها **كواسطة** لتحقيق أشياء أخرى. وينطبق هذا على حاسة السمع لدى الإنسان. فالأهمية العظمى لحاسة السمع عند الإنسان لا تعود مباشرة إلى السمع نفسه وإنما تأتيه **بطريقة غير مباشرة** من منظومة الرموز الثقافية التي ينفرد بها الإنسان عن غيره من الكائنات، كما رأينا؛ إذ لو كان الأمر يرجع مباشرة إلى حاسة السمع فقط لما تأهل الجنس البشري **وحده** للسيادة على وجه الكرة الأرضية. وهكذا يمكن صياغة **الهوية المميّزة للإنسان** في المعادلة التالية: **الإنسان = الرموز الثقافية + السمع** حيث لا تستطيع الاستعداداتُ والمؤهلاتُ الفطرية للرموز الثقافية في الإنسان أن ترى النور وتتطور وتبلغَ أشدها إذا وُلد الإنسان أصم أو أصبح أصم في السنوات الأولى لطفولته. وبعبارة أخرى، فلا وجود للإنسان باعتباره كائنًا ثقافيًا في الصميم بدون **التفاعل** بين عنصريْ الرموز الثقافية وحاسة السمع لديه اللذيْن يمثلان الركيزتيْن الأساسيتيْن في تكوين الهوية الثقافية للإنسان.

## تفوّق السمع على البصر

فقد أحصينا ١٤ آية يُذكر فيها دائمًا السمع قبل البصر عند الإنسان وعند الله. نكتفي بذكر ثلاث منها: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ الإنسان ٢ و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى ١١ و﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ لقمان ٢٨.

فتقدم ذكر السمع على البصر أربع عشر مرة في تلك الآيات يوحي بأن **هذا التقديم أمر مقصود** وليس مجرد صدفة. ومن أهداف تقديم كلمات على كلمات أخرى في أسلوب نصوص اللغة العربية وغيرها من اللغات هو **إبراز أهمية وأفضلية الكلمات المتقدمة** على الكلمات المتأخرة، ومنه، فتقديم كلمة السمع كاسم أو فعل أو وصف على مثيلاتها من كلمة بصر يشير بكثير من الوضوح والشفافية إلى أن أهمية حاسة السمع **تفوق** كثيرًا حاسة البصر.

تسمح صدارة كلمة السميع/سميع على كلمة بصير في الآيات المذكورة وغيرها بالقول إن **حاسة السمع أهم من حاسة البصر**. وهذا ما تؤكده مقارنةُ الأعمى بالأصم منذ الولادة أو الطفولة المبكرة في ميدان كسب المعرفة والعلم والإبحار فيهما. فمعروف أن بعض الأفراد المصابين بإعاقة العمى مع الولادة أو بعدها بسنوات قليلة قادرون على أن يصبحوا علماء ومفكرين مرموقين يُشار إليهم بالبنان. بينما لا تسمح إعاقة الصمم عند الولادة بالتأهل للفوز في آفاق العلم والمعرفة؛ لأنها إعاقة **تحرم الإنسان من تعلّم اللغة** وبالتالي من **منظومة الرموز الثقافية ميزة الإنسان الكبرى**. ومثال طه حسين عميد الأدب

العربي الأعمى منذ الصغر نموذج على قدرة حاسة السمع من التمكين للأفراد في طلب العلم والمعرفة والتفوق فيهما بامتياز رغم إعاقة العمى. لقد جاء في مقدمة ابن خلدون أن العدل أساس العمرانوبالمثل يجوز القول **إن السمع أساس المعرفة والعلم لدى الإنسان وجعله كائنًا ثقافيًا بالطبع وبالتالي عمرانيًا بالطبع أيضًا**.

## السمع أصل ثقافة الإنسان

تكمن الأهمية الكبرى لحاسة السمع في كونه **سبيلًا** لتحقيق الطبيعة الثقافية للإنسان. فالسمع هو، إذن، الوسيلة الأولى التي يستطيع بواسطتها الإنسان **تعلّم منظومة اللغة والرموز الثقافية**. فهذه الأخيرة هي **أبرز** و**أهم** ما ينفرد به الجنس البشري عن غيره من الأجناس الأخرى وهي التي تعطيه مقاليد السيادة الكاملة/الخلافة على بقية المخلوقات على سطح الأرض. وللتعرّف **أكثر** على وظيفة حاسة السمع في ميلاد منظومة الرموز الثقافية عند الإنسان والعلاقة العضوية بينهما، ينبغي أولًا معرفة طبيعة **اللغة** التي نعتبرُها **أمَّ الرموز الثقافية جميعًا**. فابن جني العالم اللغوي العربي الشهير يُعرّف اللغة على «أنها **أصوات** يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم». وهو تعريف دقيق في جوهره ومتناسق كثيرًا مع تعريفات اللغة عند الباحثين المعاصرين. فابن جني وعلماء اللغة المحدثون يؤكدون على جانب الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية. وهكذا تتجلى العلاقة الفطرية والعضوية بين **اللغة كأصوات والأُذن كحاسة سمع لها**. ومن الصعب تخيل ميلاد بقية عناصر منظومة الرموز الثقافية، كالفكر والدين والعلم والقيم، مع الغياب الكامل للغة كأصوات بشرية. أي أن **اللغة هي المنشئة والناقلة للرموز الثقافية** بين الناس في المجتمع الواحد وبين الشعوب وبين الأمم وبين الحضارات الإنسانية.

## الصمتُ عن الوظيفة العظمى للسمع

**لا** يكاد معظمُ المفسرين للقرآن الكريم يذكرون شيئا علميًا عن الحكمة من تقديم كلمة السمع على كلمة البصر في الآيات القرآنية. يكتفي البعضُ منهم بذكر عدد الآيات (١٤) التي يأتي فيها ذكرُ السمع قبل البصر. وأن الجنين في بطن أمه يسمع قبل أن يبصر. وأن الإنسان لا يمكنه سماع صوتيْن مختلفين في آن واحد، بينما يمكنه إبصار أكثر من شيء بالعين الواحدة. نستطيع بذلك فهم الحكمة من إيراد السمع **بالإفراد** وإيراد الأبصار **بالجمع**. فهذا الوصف الايجابي لبعض معالم حاسة السمع يُعتبر وصفًا موضوعيًا للسمع في حد ذاته. لكن يصعبُ على المفسرين وغيرهم الاهتداء إلى **أهم وظيفة** يؤديها السمع والمتمثلة في أهم شيء على الإطلاق يتميز به الجنس البشري

ألا وهي **منظومة الرموز الثقافية**. ففهم ما وراء أفضلية السمع يحتاج إلى **إدراك** معرفي/إبستيمولوجي عميق بالنسبة لمكانة منظومة الرموز الثقافية في هوية الإنسان. فمقولتنا للرموز الثقافية في هذه الورقة تُعلن بوعي كامل أن الرموز الثقافية هي بيت القصيد في كينونة الإنسان -كما يبيّن ذلك الرسم السابق- الأمر جعلنا في هذه المقالة ننادي بأن **الإنسان كائن ثقافي بالطبع** قبل أن يكون اجتماعيًا أو سياسيًا أو اقتصاديًا بالطبع، كما تقول العديد من نظريات العلوم الاجتماعية الحديثة. فمقولتنا تُعطي مشروعية واضحة وصريحة لتفضيل السمع على البصر. فالسمع وليس البصر هو **الأساس الضروري** لتعلّم اللغة ونشأة منظومة الرموز الثقافية عند الإنسان. أي أن حاسة السمع هي ملكة نشأة وحماية وتطور واكتمال منظومة الرموز الثقافية عند كافة بني البشر. ألا تؤهل هذه الوظيفة السامية السمع للحصول على **تأشيرة الأفضلية** على البصر وغيره من الحواس الأخرى لدى الإنسان كما تُشير آيات القرآن الكريم؟ فالأهمية العظمى لحاسة السمع تتجلى في كونها الوسيلة الأولى والمبجلة لخلق عالم الرموز الثقافية المميّزة الذي **يُؤهل الإنسان وحده** ليكون سيد هذا العالم أو خليفة الله في الأرض **والكائن العمراني الأول بامتياز** حسب ابن خلدون.

فهوية الإنسان هي، إذن، هوية رموزية ثقافية في الصميم يتميز بها عن غيره من الكائنات بسبب تمتع الإنسان بكل من **حاسة السمع ومنظومة الرموز الثقافية**. بينما حُرمتْ من هذه الأخيرة الأجناسُ الأخرى الأمر الذي جعلها عاجزة، رغم تمتعها بالسمع، عن إنشاء منظومات ثقافية مشابهة لمنظومة الرموز الثقافية عند الإنسان. ومن ثم، فزمالة السمع والرموز الثقافية **شرطان أساسيان** ومؤسسان لظهور الإنسان ككائن متميز وقادر وحده على السيادة/الخلافة في هذا العالم المترامي الأطراف. وهكذا يتجلى سموُّ دور السمع على دور البصر -في التحليل العقلي والتراث النقلي- في كسب الإنسان لرهان هويته الثقافية. ومن ثم، **فثنائية السمع والرموز الثقافية** تجعل من الإنسان كائنًا ثقافيًا بالطبع ومن ثم مؤسسًا لظاهرة العمران البشري بطريقة فريدة لا تضاهيه فيها بقية الكائنات الأخرى.

يُبرز ما وقع ذكرُه **عظمةَ دور السمع** التي تأتي من مصاحبته وخداماته الثمينة لأهم شيء في الإنسان: منظومة الرموز الثقافية. ألا تُشبه هذه العلاقة ما يشير إليه القول المعروف: «**إن وراء كل رجل عظيم امرأة**؟» يجسم الرسم التالي ميلاد الرموز الثقافية بواسطة حاسة السمع وارتباطها المتواصل معه:

## مصدر تفوّق/تميّز الإنسان

فقراءتنا هذه عن طريق **العقل والنقل** لدلالات تفضيل السمع على البصر في النص القرآني يُفيد أن منظومة الرموز الثقافية هي أهم ما يتميز به الإنسان عن بقية الكائنات. ولعلّ مثل هذا الفهم لأثمن ما تحتضنه هوية الإنسان (منظومة الرموز الثقافية) يساعد على كسب رهان وضوح شفاف بالنسبة لمعنى آية قرآنية أخرى تبنى في تأويلها المفسرون تأويلات مختلفة: إنها آية ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾البقرة ٣١: فالآية تشير بوضوح إلى أن إسناد الخلافة لآدم وحده ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة ٣٠ مرتبط شديد الارتباط بـ«عَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا» الميزة الفريدة التي يتمتع بها الجنس البشري دون سواه من المخلوقات كما تصرّح بذلك الآيات الأخرى في نفس السورة. وكما رأينا، يفيد التحليل العقلي والنقلي أن هذه الميزة الغالية هي منظومة الرموز الثقافية. وهكذا يجوز التأويل ومنه القول إن معنى «عَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا» مرشح بقوة لكي يكون مرادفا لمفهوم **منظومة الرموز الثقافية** أهم معلم ينفرد به آدم/الإنسان عن الملائكة وغيرها من الكائنات وسبب تأهله وحده للخلافة ولتشييد المشروع العمراني البشري بالتعبير الخلدوني.

## حتمية ميلاد العقل في حُضن الرموز الثقافية

إن مركزية الرموز الثقافية في هوية الإنسان من منظوريْ العقل والنقل كما رأينا في الصفحات السابقة تزداد قوة بما وجدناه، مثلًا، من **علاقات متينة** بين الرموز الثقافية وبين طول عمر الإنسان وسيادته في العالم، وتأخر مشي الأطفال مقارنة بالمشي المبكر لدى صغار الحيوانات وعلاقة خلود الفكر البشري بالرموز الثقافية (الذوادي ٢٠١٢: ١٣٥-١٤٨).

وتدعيمًا لمقولة هذا البحث (الإنسان كائن ثقافي بالطبع) نحاول الآن كشفَ الحجاب عن العلاقة الوثيقة التي تربط بين **منظومة الرموز الثقافية** وبين أعز ما يميز الإنسان عن سواه من الكائنات الأخرى ألا وهو **العقل**: فالنجاح في هذا المسعى يحسّن القدرة على فهم وتفسير أفضل لمركزية منظومة الرموز الثقافية في هوية الإنسان ومن ثمّ كسب رهان التقدم والنضج في **التنظير حول الظواهر الإنسانية الفردية والجماعية**.

## العقل والرموز الثقافية

عندما يسأل المرءُ عامةَ الناس: ما الذي يميّز الإنسان عن بقية الكائنات الحية الأخرى؟ طالما تكون إجابة الأغلبية أن **العقل** هو أكثر الأشياء التي **ينفرد بها الجنس البشري** على وجه الأرض. وهي إجابة ذات مصداقية عالية. ومع ذلك، فإن الفضول العلمي لا يكتفي بتلك الإجابة البسيطة، بل يريد معرفة العوامل التي تؤدي إلى وجود ظاهرة العقل لدى الإنسان دون سواه من الكائنات. ولكسب رهان رصيد المعرفة اللازم لتفسير ظاهرة العقل يمكن للباحث أن يتبنى منهجية شفافة الطرح للموضوع في ثلاثة معالم: ١. التعرف على إمكانية **وجود سمات أخرى** يتميز بها أيضًا الإنسان بطريقة قاطعة كما هو الحال في انفراده بالعقل، و٢. وفي حال وجود تلك السمات تُطرَح **فرضية وجود علاقة** بينها وبين ظاهرة العقل. ٣. إن التأكد من وجود علاقة بين السمات الواردة في ١ وظاهرة العقل لدى الإنسان يساعد على فهم وتفسير أصل **جذور منبت العقل** كخاصية يتميز بها الإنسان وحده.

فبحوثنا المتواصلة منذ ١٩٩٠ قادتنا إلى التأكد من أن الإنسان يتميز عن غيره من الدواب بمنظومة الرموز الثقافية، كما وقع بيانه. فهذه المنظومة هي ميزة بشرية بكل وضوح تُلبي ما يتطلبه ما جاء في رقم ١. أما احتمال وجود علاقة بين الرموز الثقافية وظاهرة العقل فهذه فرضية مقبولة بسبب **أن كلًا منهما هو ميزة كاملة للإنسان** مما يسمح بالقول إن هناك على الأقل **علاقة ارتباط** correlation بين الاثنين وربما تكون هذه العلاقة أكثر من ذلك: علاقة سبب بمسبَّب. أي أن العقل هو سبب وجود تلك المنظومة لدى الإنسان أو العكس. وهذا يحتاج إلى **رفع الالتباس** في مسألة متشابكة جدا تشبه قضية هل الدجاجة نتيجة للبيضة أم البيضة نتيجة للدجاجة؟

وهكذا يمكن القول إن **العقل** و**منظومة الرموز الثقافية** هما **ميزتان بارزتان في الإنسان**. وعلى مستوى ثان فإن ظاهرة سيادة الإنسان في العالم يُرجعها عامة الناس إلى مواهب العقل المتميّزة. بينما تفسرها بحوثنا بمركزية الرموز الثقافية في هُوية الإنسان كما سبق تشخيص ذلك في الرسمَيْن السالفين.

فمنطق المعطيات والتحليل لهذه العلاقة المتشابكة بين منظومة الرموز الثقافية والعقل يسمح بالقول إن تَملُّك الإنسان لتلك المنظومة الثقافية هو **السبب الرئيس الأول** لتأهله لامتلاك مواهب العقل. يمكن تقديم حُجتين لصالح هذه الرؤية. **أولًا**: لا تملك الكائنات الأخرى منظومة الرموز الثقافية التي يتمتع بها الجنس البشري. ومن ثمّ، فهي فاقدة لنوعية العقل البشري. **ثانيًا**: يتجلى تأثير الرموز الثقافية على طبيعة العقول لدى الناس في **ثلاثة أصناف لتلك العقول**: العقول الأمية والعقول المتعلمة والعقول المفكرة العظيمة كما سنرى.

## مؤشراتُ علاقة العقل بالرموز الثقافية

وللتقدم في مسيرة كشف الحجاب عن طبيعة العلاقة بين العقل ومنظومة الرموز الثقافية، فمن المناسب في المقام الأول طرحُ بعض الملاحظات التي قد تساعد على القرب من الوضوح من المسألة الغامضة قيد التحليل وذلك بذكر بعض مؤشرات الارتباط بين تلك المنظومة والعقل:

١. إن ا**لقراءة والتعلم** بواسطة الذهاب إلى المدارس أو بطريقة مستقلة يُعطي عقل الإنسان معرفة وعلمًا يمكنّانه من فهم أفضل لكثير من الأشياء والأمور في الحياة. وهذا يعني أن عقل الإنسان المتعلم يملك قدرة أكبر من عقل الإنسان الأمي على الفهم والتفسير لعديد الظواهر ومجريات الحياة. ويتضح من هذا المثال أن الاستعمال لبعض عناصر منظومة الرموز الثقافية كقراءة اللغة وكتابتها وتعلم بعض المعلومات العلمية والأفكار والقيم الدينية والثقافية تُحسّن من مستوى قدرة العقل بصفة عامة على الإدراك والفهم والتفسير لكثير من الظواهر والأشياء في محيطه المباشر القريب على الأقل.

٢ . إن الاعتماد على العقل كوسيلة وأداة لإنشاء المعرفة لدى بني البشر يتطلب **فهم مكوّنات العقل** التي تمنحه القدرة على تكوين المعرفة والعلم. يمكن القول إن العقل الإنساني هو نتيجة لعنصرين رئيسين: فالمخ يتكون من عناصر بيولوجية فيزيولوجية ونرولوجية، من جهة، ومنظومة الرموز الثقافية، من جهة ثانية. يمثل الكورتاكس الأمامي تلك المنطقة الخاصة الخصبة لنشأة منظومة الرموز الثقافية وفي طليعتها اللغة والفكر وتطورهما ونضجهما عند الإنسان. فالعقل والرموز الثقافية هما، إذن، صفتان يختص بهما الإنسان مما يطرح فرضية وجود علاقة ترابط قوية بين الاثنين. تصلح هذه العلاقة الفرضية لكي يُقال **معرفيًا/ إبستيمولوجيا** إن منظومة الرموز الثقافية هي **المصدر الأول** لتجسيم ظاهرة العقل لدى أفراد الجنس البشري؛ إذ إن غياب الرموز الثقافية لدى الأجناس الأخرى، كما وقعت الإشارة، حرمها من تمتعها بمواصفات العقل البشري. وهكذا، يصعب الحديث عن العقل الإنساني دون وجود منظومة الرموز الثقافية. وبعبارة أخرى، فالإنسان ككائن عاقل هو كائن واسع ومكثّف الاستعمال لعناصر منظومة الرموز الثقافية الأمر الذي يساعد على تفسير ظاهرة **ثلاثة أنواع من العقول** وهي العقول الأمية والعقول المتعلمة والعقول المفكرة العظيمة. نركز لاحقًا على النوع الأخير من هذا التصنيف مستعملين العقل الخلدوني المفكر مثالًا لتأثير منظومة عالم الرموز الثقافية العربية الإسلامية في ميلاد **العقل العمراني الرائد** لصاحب المقدمة. لنتعرّف الآن على ما يقوله العلم الحديث والفكر المعاصر حول نشأة العقول العظيمة المفكرة والمبدعة.

## رحابة الرموز الثقافية والإبداع الفكري

يشهد التاريخ البشري الطويل عبر ثقافاته وحضاراته المختلفة بأن ظهور العقول العظيمة الرّائدة في الميادين المعرفية والعلمية المتنوعة ارتبط في غالب الأحيان بحصول تلك العقول على **مستوى علمي/معرفي عال** يتمثل في المعرفة العالِمة المتقدمة. ويتطلب كسبُ رهان ذلك **أمرين رئيسين**: معرفة القراءة والكتابة، من ناحية، والتمتع بمستوى متميّز في ميدان التخصص العلمي ورحاب المعرفة الواسعة العامة، من ناحية أخرى. فعامل معرفة القراءة والكتابة قد لا يكون ضروريًا في عمليات الإبداع والابتكار في بعض ميادين الأنشطة الإنسانية، ولكن معرفة القراءة والكتابة تعدّ **ركيزة أساسية** بالنسبة للعقول العظيمة المبتكرة في معظم فروع المعرفة البشرية والثقافية. تبرز النظريات المعاصرة بقوة العلاقة بين الإبداع /الابتكار والمعرفة البشرية الرحبة (Sternberg, 1999: 226-50 ; 2003). وفي الواقع تؤكد تلك النظريات على وجود **علاقة مباشرة** بين الاثنين (المعرفة الواسعة والإبداع/الابتكار/الخلق) (Sternberg، ١٩٩٩: ٢٤٨)؛ إذ يرى المنظرون حول ظاهرة الإبداع «بأنه كلما كان المرء أكثر وأوسع معرفة بالأشياء، كلما كان **أسهل** عليه العثور على حلول مبتكرة لما يواجهه» (Kraft, 2005: 22). كما أن المعرفة الواسعة تعطي الإنسان القدرة على **المبادرة المكثفة** في القيام بأنشطة ذهنية/فكرية cognitive processes معقدة قد تقود إلى حالات التألق لدى بعض البشر (Kraft, 2005: 17). قد تُعتَبر مقولة هذه النظريات خلاصة متسرعة؛ لأنها تقلل من دور العاملين الآخرين (العوامل الاجتماعية وسمات الشخصية للأفراد المبدعين) في عملية الإبداع/الخلق. ورغم دعوتنا للحذر، فإن العلاقة بين المعرفة العربية الإسلامية العالِمة والواسعة **لصاحب المقدمة**، من ناحية، وابتكاره لعلم العمران البشري الجديد، من ناحية ثانية، تمثل اختبارًا في هذا البحث لتلك النظريات المهتمة بفهم وتفسير ظواهر **الإبداع/الابتكار/الخلق**؛ علمًا أن أحد التعريفات المتفق عليه للإبداع يرى أن هذا الأخير يتمثل في: «قدرة الناس على **تجاوز المعلومات المعروفة وتخيّل طرق جديدة ومثيرة للوصول إلى صياغة جديدة لمشاكل قديمة**» (Sternberg, 2003: I). وهكذا يجوز القول بأن رصيد منظومة الرموز الثقافية التي يملكها العقل البشري هي التي تُمكّن بعض العقول البشرية من النضج الفكري والمعرفي الرائد في فهم وتفسير الظواهر المتعددة والمختلفة في هذا العالم وهذا الكون الفسيح المترامي الأطراف. وخلاصة القول بهذا الصدد، فظاهرة العقل البشري مرتبطة شديد الارتباط بوجود منظومة الرموز الثقافية في مخ الإنسان وأن درجة استعمال العقل للرموز الثقافية هي التي تحدد مدى مستوى النضج الذي يمكن أن يبلغه العقل الإنساني بما فيه ظاهرة العقول العظيمة والريادية في دنيا المعرفة والعلم.

## محددات العقول العظيمة

وعلى الرغم مما جاء في السطور السابقة؛ فهناك حاجة لاستكشاف والتعرف على **العوامل الرئيسية المحددة** التي تعمل على نشأة العقول البشرية العظيمة ذات الابتكار والإبداع في ميادين المعرفة الإنسانية (٢). يبدو أنه توجد **ثلاثة عوامل أساسية** تؤهل كثيرًا العقول البشرية لاكتساب رهان الإبداع والعمق المعرفي. هذه العوامل هي: (أ) المعرفة الواسعة والمتينة لدى المفكر/العالم و(ب) المحيط الاجتماعي الخصب بالعوامل والمؤثرات المثيرة والمثرية لتفكير العقل البشري و(ت) وجود صفات خاصة في شخصية الفرد المرشح للتأهل ليكون عضوًا في سرب المبدعين والمبتكرين والعباقرة في المجتمعات البشرية على مر العصور.

وفي محاولتنا لاستكشاف العبر من العقل الخلدوني الذي كتب المقدمة، نود التركيز على العامل الأول، أي على دور **الرصيد المعرفي الرحب (عالم الرموز الثقافية)** لصاحب المقدمة في خلق العقل العمراني الخلدوني. يأتي هذا التركيز في مكانه المناسب. فمن جهة، نرى في هذه الورقة أن المعرفة الواسعة (عالم الرموز الثقافية) هي أمر أساسي لإمكانية بروز عقول متميزة في ميدان الثقافة والفكر. ومن جهة ثانية، فإن كلًا من العوامل الاجتماعية المحيطة بالإنسان والسمات الخاصة التي تتصف بها شخصيته يمثلان **مؤثرات رئيسة** تساعد على ظهور وخلق عقول عظيمة مفكرة بين بني البشر. ومن جهة ثالثة، فإن مفهوم العقل والنقل عند المسلمين لا يكاد يلقى قبولًا في الثقافة الغربية العالِمة المعاصرة باعتباره وسيلة لإرساء معرفة ذات مصداقية في ميادين الثقافتين The Two Cultures. إن مناقشة هذا الموضوع أمر في محله في زمن يسود فيه تساؤل جديد ومتزايد بالنسبة لمدى مصداقية كل من العلوم الاجتماعية والطبيعية في العصر الحديث وذلك بسبب **فقدان الوحدة المعرفية/الإيبستيمولوجية** epistemological unification في ثقافتي هذين الصنفين من العلوم اليوم. (Wallerstein, 1999: 243- Wilson, 1999). **إن العقل المسلم** الجامع بين استعمال النقل والعقل لا يدعو فقط إلى الوحدة الإيبستيمولوجية بين الثقافتين بل هو ينادي كذلك **بوحدة المعرفة البشرية** المكتسبة عن طريق استعمال العقل مع معرفة الوحي المنزلة في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة لرسول الإسلام. فآفاق معرفة ابن خلدون الواسعة الحمّالة لفكره العقلي والنقلي هيأته ليكون الرائد الفريد في ميدان علوم الإنسان والمجتمع في كامل التاريخ البشري وذلك بإنشائه في القرن الرابع عشر علمًا جديدًا هو **علم العمران البشري**.

## العقل الخلدوني ولباس الرموز الثقافية العربية الإسلامية

بكل المقاييس يمثل العقل العمراني الخلدوني الذي ألف **المقدمة** في القرن الرابع عشر **عقلًا رائدًا وعملاقًا** في دنيا الفكر البشري قاطبة. ونظرًا لمناداة أطروحة هذه الورقة بالدور الريادي الذي تلعبه الرموز الثقافية في تكوين مستوى العقل الإنساني، فإن التعرّف على منظومة الرموز الثقافية التي نهل منها عقل ابن خلدون يصبح أمرًا ضروريًا لفهم وتفسير **ظاهرة العقل الخلدوني الفريد**.

ففي صباه درس ابن خلدون في تونس التي كانت يومئذ مركز العلماء والأدباء في بلاد المغرب. ركز ابن خلدون دراسته في ثلاثة مجالات وهي (١) العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه على المذهب المالكي وأصول وتوحيد و(٢) العلوم اللسانية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأدب و(٣) المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية. لقد أعطت تلك الدراسات ابن خلدون تكوينًا تعليميًا في **ثقافتيْ عصره** بالمعنى الحديث لمصطلح الثقافتين The Two Cultures. ففي كتابه (التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا) يصف بكثير من التفصيل **أهم شيخين** تلقى تعليمه على يديْهما وهما أبو محمد بن عبد المهيمن بن عبد المهيمن **الحضرمي** وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم **الآبلي**. يذكر ابن خلدون ما تعلمه عن الأول فيقول: «لازمته، وأخذت عنه، سماعًا، وإجازة، **الأمهات الست**، وكتاب الموطأ، والسير لابن إسحاق، وكتاب ابن الصلاح في الحديث، وكتبًا كثيرة شذت عن حفظي، وكانت بضاعته في الحديث وافرة ونحلته في التقييد والحفظ كاملة، كانت له خزانة من الكتب تزيد على ثلاثة آلاف سفر، في الحديث والفقه والعربية، والأدب والمعقول وسائر الفنون...» (التعريف: ٢١). أما عن معلّمه الثاني الآبلي، شيخ العلوم العقلية فيقول عنه ابن خلدون: «أصله من تلمسان، وبها نشأ، وقرأ كتب التعاليم، وحذق فيها، وأظله الحصار الكبير بتلمسان أعوام المائة السابعة، فخرج منها وحج. ولقي أعلام المشرق يومئذ .... وقرأ المنطق والأصلين، على الشيخ أبي موسى عيسى بن الإمام. وكان قرأ بتونس، مع أخيه أبي زيد عبد الرحمن، على تلاميذ ابن زيتون الشهير الذكر. وجاء إلى تلمسان بعلم كثير من **المعقول والمنقول**... ولما قدم على تونس في حملة السلطان أبي الحسن، لزمتُه وأخذتُ عنه الأصلين، والمنطق، وسائر الفنون الحكمية والتعليمية، وكان رحمه الله، يشهد لي **بالتبريز** في ذلك» (التعريف: ٢١-٢٣).

يعترف ابن خلدون بأنه كان **صاحب رغبة قوية في التعلم** وكسب رهان المعرفة منذ طفولته الأولى «لم أزل منذ نشأتُ وناهزت مُكبًا على تحصيل العلم، حريصًا على اقتناء الفضائل، متنقلًا بين دور العلم وحلقاته إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب بالأعيان، والصدور وجميع المشيخة» (التعريف: ٥٧). ونتيجة لذلك هاجر من تونس إلى المغرب العلماء

والمثقفون الذين لم يصابوا بالطاعون. وفي زمن لاحق كان لابن خلدون فرصة العودة للدراسة في مدينة فاس التي أصبحت مركزًا للعلماء والمثقفين الذين غادروا الأندلس وتونس؛ فمكتبات هذه المدينة كانت أغنى المكتبات الإسلامية في ذلك العهد. ومن ثم فإن وجود ابن خلدون في هذا **المحيط الفكري الثقافي اللامع قد وسّع وعزز آفاق معارفه وأرضى رغبته الحقيقية في المعرفة** « ... وعكفتُ على النظر والقراءة، ولقاء المشيخة، من أهل المغرب، ومن أهل الأندلس، والوافدين في غرض السفارة، وحصلت من الإفادة منهم على البغية » (التعريف: ٦١). وهكذا يتجلى أن العقل الخلدوني صاحب الفكر الجديد والمبتكر هو وليد لعاملين رئيسين: الموهبة الشخصية، من جهة، **وتشبعه بالمعرفة والعلم/الرموز الثقافية** في محيطه الثقافي العربي الإسلامي ومن كبار علماء عصره، من جهة أخرى. وهذا يعني أن العقل العملاق لابن خلدون ما كان لينضج ويكتب المقدمة دون منظومة الرموز الثقافية العربية الإسلامية التي اكتسبها وعايشها في المغرب والمشرق.

## إعجاب الشرق والغرب بالعقل الخلدوني

هناك إجماع كبير في الشرق والغرب بين العلماء والمفكرين بأن **ابن خلدون قد وُهب عقلًا شغوفًا بالعلم والمعرفة**؛ فها هو المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي يقول: «ففي ميدان نشاطه الفكري يبدو أنه (ابن خلدون) لم يتأثر بأي من سابقيه ولم يجد من يضاهيه من معاصريه ولم يثر فكره الريادي أي رد فعل بين من جاءوا بعده. ومع ذلك فإنه في المقدمة وكتاب العبر قد تصور وصاغ فلسفة تاريخ هي بدون شك **أعظم الأعمال الفكرية** في مجالها الذي لم يتوصل إليها بعد أي عقل بشري»(Toynbee, 1956 : 372.) في أي زمان وأي مكان

ومن العالم العربي يصف المفكر المغربي الكبير الراحل محمد عابد الجابري محتوى المقدمة على أنه يمثل عملا فكريًا يتسم بالتدرج (من البسيط إلى المعقد) والوحدة في مواضيعه، وكذلك في تنظيم فصوله وفقراته، والانسجام الذي يسود أجزاءه المختلفة. ويرى أن البحوث التي تتناول مسائل الغيبيات والروحانيات والحالات النفسية في المقدمة ليست بحوثًا استطرادية، بل هي جزء لا يتجزأ من الهرم العمراني الخلدوني. ومن الخطأ الجسيم التمييز بين ما هو أصيل وما هو مجرد استطراد في المقدمة (الجابري، ١٩٩٢: ١١٥). ثم يضيف الجابري ملخصًا رأيه في فكر كتاب المقدمة: «وفي رأيي **أن مقدمة ابن خلدون** سواء من حيث مضمونها، أو من حيث ترتيب فصولها وتتابع فقراتها، وتناسق أجزائها، **تشكل بناء هرميًا متماسكًا**، ذلك أن الشيء الذي يلفت النظر في هذا الصدد ليست تلك الهوة المزعومة بين البحوث الأصلية والبحوث

الاستطرادية، بل إن الذي يثير الانتباه والإعجاب معًا، هو ذلك **التماسك المنطقي المتين** الذي يسود المقدمة من أولها إلى آخرها، والذي جعل من كل فكرة نتيجة التي قبلها ومقدمة التي بعدها» (الجابري، ١٩٩٢: ١١٦).

## الميدان التطبيقي لرؤية البحث

ودعمًا لمقولة هذا البحث ننهيه بذكر مثالين يبيّنان مدى أهمية دور منظومة اللغة والرموز الثقافية في فهم وتفسير الظواهر التالية: العلاقة بين كيباك وكندا ومسألة الحوار بين الغرب والعالم العربي الإسلامي.

## ازدواجية الهوية الكندية ومشكل كيباك

تُرجِع التحاليلُ للعلاقات المتوترة والصاخبة أحيانًا بين كيباك، من ناحية، والمقاطعات الكندية الأخرى والحكومة المركزية (الفيدرالية) من ناحية أخرى، إلى **الاختلافات اللغوية الثقافية بين الطرفين**: أي الكنديين المتحدثين بالإنجليزية والكنديين الناطقين بالفرنسية. نقتصر هنا على ملاحظات عالِمَيْن اجتماعيين كنديين مشهورين حول قضية التعايش المتأزم بين كيباك وكندا.

يرى جون بورتر John Porter عالم الاجتماع الكندي الانجليزي بأن كندا هي بلد منقسم إلى مجموعتين بشريتين كبيرتين **تتحدثان لغتين وتمارسان تقاليد وعادات مختلفة** الأمر الذي يجعلهما يحافظان على درجة عالية من الاقصاء لبعضهما البعض (Porter 1967). ومن جهة أخرى، تتحدث وسائل الإعلام الكندية على ما يسمّى «بظاهرة العزلتين Les Deux Solitudes» بين الكنديين الفرنسيين والكنديين الإنجليزيين بمدينة مونتريال على الخصوص. فسكان هذه المدينة يطالعون صحفا ومجلات مختلفة، كما أنهم لا يستمعون إلى نفس المحطات الإذاعية ولا يشاهدون نفس القنوات التلفزيونية ويبدو أنه حتى رجال الأعمال من الطرفين لا يأكلون في نفس المطاعم. وهذا يعني أن للمجموعتين **أقطاب انتماء ورؤى مختلفة**.

ولا تقتصر ظاهرة العزلتين على مدينة مونتريال فحسب؛ بل يمكن ملاحظتها عبر المجتمع الكندي بأكمله وعلى مستويات متعددة. فعلى سبيل المثال، يصف عالم الاجتماع الكيباكي المعروف جي روشاي Guy Rocher ملامح تلك الظاهرة في خطابه الذي ألقاه في ٢٧ مايو ١٩٩٠ أمام زملائه بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين للجمعية الكندية لعلم الاجتماع وعلم الانثربولوجيا فيقول: «إنّ مؤتمرات الجمعية الكندية لعلمي الاجتماع والأنثروبولوجيا تشير إلى الحضور الخفي لعلماء الاجتماع الكنديين الفرنسيين، وخاصة المنحدرين من مقاطعة كيباك. وحتى نكون أكثر دقة فهي تشير إلى غيابهم الكبير. إن قراءة المرء لبرامج المؤتمر تجعله يستنتج بأن علم الاجتماع

الكيباكي يمر بفترة تدهور منذ ١٩٦٥ بينما هو يتمتع في الحقيقة بعطاء فكري زاخر. وفي الواقع يمثّل الحضور القليل لعلماء الاجتماع الكيباكيين الفرنسيين شرخًا عميقًا: **فالهوة** بين علماء الاجتماع الكنديين الناطقين بالفرنسية، خاصة الكيباكيين منهم، هي في ازدياد. لقد وقع بناء جدار من الصمت بيننا يبدو وكأنه أقوى من جدار برلين وأطول عمرًا منه. لا يوجد انفصال بيننا ولكن يوجد عوضًا عن ذلك افتراق وابتعاد عن بعضنا بعضًا دون استفتاء (Rocher 1990).

## حوار وصدام الثقافات

نفضل هنا استعمال كلمة «الثقافات» بدل «الحضارات» في تحليل مسألة الحوار أو الصدام بين الأمم والمجتمعات؛ إذ إن الثقافات (منظومات اللغات والرموز الثقافية) هي **المؤسسة** للحضارات وتجلياتها بما فيها القدرة على الحوار والصدام مع «الآخر».

ما من شك أن قضية حوار/صدام الثقافات هي اليوم موضوع الساعة. يساعد مفهومنا لمنظومة اللغة والرموز الثقافية على المساهمة في فهم وتفسير حيثيات هذا الموضوع. ويسهّل **الاشتراك أو التشابه في عناصر هذه المنظومة** بين الأمم والمجتمعات والجماعات على التواصل والحوار بينها؛ فالاشتراك أو التشابه بين تلك التجمعات البشرية في عالم الرموز الثقافية يعزز بالتأكيد من الاستعداد والتحمس والقدرة على الحوار والتفاعل على المستويين الفردي والجماعي بين تلك التجمعات. **واللغة أم الرموز الثقافية جميعًا** هي أهم عناصر المنظومة الثقافية لفتح أبواب الحوار والتواصل بين الأفراد والمجموعات البشرية. ومن ثم، يمكن القول بأن حوار الثقافات بين العالم الإسلامي، من ناحية، والعالم الغربي، من ناحية أخرى، يتطلب في المقام الأول من الطرفين **معرفة لغات بعضهم البعض**. وهذا ما هو مفقود أو قاصر عند الطرف الغربي نخبويًا وشعبيًا. وعلى العكس من ذلك؛ فإن لنخب العالم العربي الإسلامي معرفة واسعة ومتمكنة بلغات المجتمعات الغربية المتقدمة وفي طليعتها اللغتان الإنجليزية والفرنسية. وبازدياد نسبة التعليم منذ استقلال المجتمعات العربية الإسلامية، انتشر تعلم اللغات الغربية فيها. إن هذا الواقع اللغوي الشعبي يهيئ بالضرورة المجتمعات العربية الإسلامية ويعزز عندها **هاجس التفتح والحوار** مع المجتمعات الغربية وخاصة الأكثر تقدمًا. أما المجتمعات الغربية المتقدمة فليس لها ما يحفزها على نطاق شعبي واسع على تعلم ولو لغة واحدة من لغات العالم العربي الإسلامي. فهذا الأخير عالم متخلف لا يجذب الغربيين لتعلم لغاته. ويقتصر الأمر في أغلب الأحيان على تعلم بعض لغات العالم العربي الإسلامي لعددٍ محدود جدًا من الأفراد من العلماء والمستشرقين والدبلوماسيين ورجال الأعمال والاستخبارات، كما يتجلى ذلك في الاهتمام المتزايد عند الإدارات الأمريكية

في تعلّم اللغة العربية من طرف العاملين بوكالة الاستخبارات الأمريكية CIA.

يتفوق العرب المسلمون أيضًا على الغربيين المسيحيين في إيمانهم بعيسى الرسول النبي. ومنه؛ فالمسيحيون واليهود عند المسلمين هم **أهل الكتاب**. بينما الإيمان بمحمد بوصفه رسولًا ونبيًا ليس جزءًا من العقيدة المسيحية واليهودية. ونتيجة لذلك فالعرب المسلمون أكثر تأهلًا دينيا للتحاور مع أهل الكتاب. وفي ضوء هذه المعطيات؛ فإنه لا يجوز الحديث عن المساواة في رغبة الطرفين الغربي والعربي الإسلامي في الحوار. واعتمادًا على ما سبق ذكرُه، فالمجتمعات الغربية الحديثة هي **أقل استعدادًا ومقدرة لغويًا ودينيًا وثقافيًا** على الدخول في حوار ثقافي واسع ومثمر مع المجتمعات العربية والإسلامية. وفي ظل ظروف الجهل المتفشي في العالم الغربي بلغات وثقافات العالم العربي الإسلامي وفقدان الدين المسيحي للإيمان بالإسلام باعتباره دينًا إلهيًا؛ فإنه يمكن القول إن الطرف الغربي هو الأكثر استعدادًا وترشحًا من العالم العربي الإسلامي للدخول في عملية التوتر والصدام معه.

## البيبليوغرافيا:

### باللغة العربية


-ابن خلدون، عبد الرحمن: **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، دون تاريخ.

-الحاج، كمال يوسف (١٩٦٧) **في فلسفة اللغة**، بيروت، دار النهار للنشر.

- الجابري، محمد عابد (١٩٩٢): **فكر ابن خلدون، العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

الذوادي، محمود: في الدلالات الميتافيزيقية للرموز الثقافية، **عالم الفكر**، المجلد ٢٥، العدد ٣، يناير/مارس ١٩٩٧، ص٩-٤٣.

الذوادي، محمود ٢٠١٠: المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

-الذوادي، محمود (٢٠٠٢): **التخلف الآخر: عولمة أزمة الهويات الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث**، تونس، الأطلسية للنشر.

- الذوادي، محمود (٢٠٠٦): **الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية**، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.

- الذوادي، محمود (٢٠١٢): مقولة (يرحل الكبار ولا يرحلون) في ميزان نظرية الرموز الثقافية، **المستقبل العربي.**

بركات، حليم (٢٠٠٠): **المجتمع ا لعربي في القرن العشرين: بحث في تغير الأحوال والعلاقات**، بيروت، مركز دراسات الوحد ة العربية.

## باللغات الأجنبية:

Compiègne, I.(2011) La société numérique en question, Auxerre Cedex, Editions Sciences Humaines.

Dahrendorf, R.(1974) Homo Sociologicus, Hamburg, Westdeutcher Verlag.

Dhaouadi, M, Arab Cultural Concepts for Cultural Sociology, Contemporary Arab Affairs, Vol.I, No.1, January 2008, pp.82-76.

Dhaouadi, M.(2002) Globalization of the Other Underdevelopment : Third World Cultural Identities 2002, S.Noordeen, Kuala Lumpur.

Kraft, U., (2005) "Unleashing creativity", Scientific American Mind, vol.16, n3°.

Porter, J. « Canadian Character in the Twentieth Century », The Annals (March 1967) p 49.

بعث لي الأستاذ روشي Rocher بنسخة من خطابه بعنوان:

«Les Deux solitudes chez les sociologues canadiens » Le 27 mai 5 ,1990p.

Semashko,L. and others(2006) International Sociology Review of Books, Vol.2, no.6, pp.38-829.

Seidman, S. (2008) Contested Knowledge: Social Theory Today (4th edition), Oxford, Blackwell Publishing.

Sternberg, R., (2003) Wisedom, Intelligence and Creativity Synthesized, Cambridge, UK: Cambridge University Press.

-Sternberg, R., (1999) Handbook of Creativity, Cambridge, UK: Cambridge University Press.

Toynbee, A., (1956) The Study of History, London, UK, Oxford University Press.

Turner,J.H(2001) Handbook of Sociological Theory, New York, Kluwer Academic/Plenum Publishers, pp.17 -1.

-Wallerstein, I., (1999) The End of the World as We Know It, Minneapolis, University Minneosta Press.

Wilson, E. (1999) Consilience: The Unity of Knowledge, New York, Vintage Books.

Wolff,J.(1999) Cultural Studies and the Sociology of Culture**,** Contemporary Sociology, Vol.28,no.5, September, pp.506-499.